

# الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء من منظور رسائل النور

أشرف عبد الرافع الدرفيلي\*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فسوف يستعرض البحث بالدراسة والتحليل، الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء من منظور رسائل النور، حيث أنني أجد من خلال تصفحي للرسائل، أن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي قد خصص للرسول المعلم صلى الله عليه وسلم مساحات واسعة في رسائله، أبرزها في كتاب الكلمات<sup>(١)</sup> والمكتوبات<sup>(٢)</sup> واللمعات<sup>(٣)</sup> والشعاعات<sup>(٤)</sup> والمنتوي العربي.

- 
- \* أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد.
- ١- سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، حين نستعرض الكلمة العاشرة، فإنها تبين من بين ثناياها وظائف النبوة ومهامه الرسالية، وفي الكلمة الحادية عشر، نجد أن من بين مهام الرسول الرسالية والأساسية، هو بيان وتعريف الإنسان بمهمة حياته وغايتها وماهيتها وحقيقتها وكمال سعادتها، والكلمة التاسعة عشر تتحدث عن إثبات الرسالة الأهدية، ولعل رشحاتها هي مرتكز موضوعنا، والكلمة الحادية والثلاثون الخاصة بالمعراج النبوي، ص ٦٦٦-٧٠٦.
- ٢- سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، وأبرز الرسائل المتعلقة بموضوع النبوة وضرورتها والحكمة من المعجزات، هي رسالة المعجزات الأهدية، والمسمى بالمكتوب التاسع عشر.
- ٣- سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، اللمعة الرابعة، وهي رسالة منهاج السنة.
- ٤- سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، الشعاع الخامس عشر، وفيه يتحدث في القسم الثالث عن شواهد النبوة.

## التمهيد والتأصيل

النبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويج النفس أو إظهارها، وإنما هي محض فضل إلهي، ومجرد اصطفاء رباني، وأمر اختياري ﴿يَخْنُصُ رَحْمَتِيءَ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٥) ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦).

والنبوة فيها بيان واضح ودلالة قاطعة على عدم عبثية الخلق، وأن خالقهم لم يتركهم سدى، بل أرسل لهم أنبياءه ورسله، ليلغوهم أوامره ونواهيته، ويبينوا لهم طريق الهدى من الضلال، وذلك حتى لا يتيهوا في معترك الحياة بلا مرشد، وحتى يصحح لهم ما قد يدس لهم من أفكار فاسدة تلقي بهم في التهلكة، وتلك منة من الله على عباده ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧).

### الرسالة والنبوة في نظر الفلاسفة والمتكلمين (٨)

إن الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء تدور في فلك ما أقره القرآن الكريم من مقاصد أساسية أربعة، وخاض النورسي بشرحها وتفصيلها وتوضيحها في رسائله: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية، ولقد أقام المتكلمون العديد من الأدلة العقلية لإثبات لزوم بعثة الأنبياء، ومن بين تلك الأدلة: دليل "قاعدة اللطف الإلهي"، أو ما يعبر عنه أحياناً بـ "مصلحة العباد"، وفي المقابل نجد من أقام الأدلة لإنكار لزوم إرسال الرسل، وجعلوا إرسال الرسل من قبيل المستحيل وهم البراهمة والسمنية، زعموا أن إرسالهم عبث لا يليق بالحكيم، لأن العقل يغني عن الرسل، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله، وإن

٥- سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

٦- سورة القصص، الآية: ٦٨.

٧- سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

٨- انظر بتوسع: لجنة قسم العقيدة والفلسفة، دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق، طبعة جامعة الأزهر، ط١،

١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٢١-١٢٦ بتصرف.

لم تأت به الرسل، وإن كان قبيحًا عنده تركه، وإن لم تأت به الرسل، وإن لم يكن عنده حسنًا ولا قبيحًا، فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه.

أما المثبتون فقسمان

قسم جعل إرسال الرسل من قبيل الواجب على الله تعالى، وهم المعتزلة، بناءً على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح، فيقولون: بأن النظام المؤدي إلى صلاح حال النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل، والفلاسفة أيضًا بناءً على قاعدة التعليل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله تعالى وجود العالم بالتعليل أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه.

أما القسم الثاني: فجعلوا إرسال الرسل من قبيل الجائز في حقه تعالى، يرسلهم تفضلاً وإحساناً إلى عباده وهم أهل السنة.

فالمثبتون على هذا وإن اختلفوا في حكم الإرسال هل هو واجب أو جائز، فإنهم اتفقوا على ضرورة إرسال الرسل وحاجة الإنسان إليهم، ويسلكون لبيان هذه الحاجة - كما أوضح محمد عبده والنورسي - مسلكين:

**الأول:** انطلقوا فيه من الاعتقاد ببقاء النفس الإنسانية بعد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم، أو تشقى فيها بعذاب أليم، وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية، ولما كان الإنسان عاجزاً عن إدراك عالم الغيب بيقين، اقتضت حكمة الصانع الحكيم أن يصطفي من خلقه أناساً يميزهم بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستنارة بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما يكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس سكانها، ثم يتلقون أمره أن يحدثوا عن جلاله ما خفي على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما شاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من عمله، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن تناول أفهامهم، وأن يبلغوا شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله.

**الثاني:** انطلقوا فيه من طبيعة الإنسان نفسه، إذ الإنسان كائن اجتماعي، بيد أن تفاوت الناس في الإدراك

والهمة والعزيمة قد يفضي بهم عند الاجتماع إلى التنازع وفوات المقاصد، فإذا أضفنا إلى هذا ذلك الشعور الفطري الذي يجده كل إنسان في نفسه، يدفعه إلى البحث عن قوة أكمل وأقوى، حتى لكأن كل نفس تشعر أنها مسوقة إلى معرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسنها تارة، ومن عقلها تارة أخرى، فتقترب من الحق حيناً، وتبتعد أحياناً أخرى، فتدين بالعبودية لمن تظنه الأكمل من المخلوقات، كالحوانات والكواكب والأشجار والأحجار. فهاتان الخاصيتان جعلتا الإنسان - وهو الكائن الاجتماعي - في حاجة إلى أفراد من جنسه يكونون أكمل منه، فيعطونه المحبة التي توحد بين أفرادهم، فلا يهلكهم التنازع، ويحملهم على إقامة العدل الذي يمنعهم من أن يعتدي بعضهم على بعض، ويهدونهم إلى المعبود الحق سبحانه. وعلى هذا سار النورسي في التأكيد على ضرورة النبوة للإنسان، بل للعالم ككل، فهو يراها من مقتضى سر انتظام الكون بقدرته الله سبحانه وتعالى فيقول: "إن القدرة التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتمًا البشر من دون نبي، من دون شريعة. نعم هكذا يقتضي سر نظام العالم"<sup>(٩)</sup>.

كما أن ضرورة النبوة للعالم المعنوي كضرورة الشمس للعالم المادي، يقول: "اعلم أن القرآن كما يفسر بعضه بعضاً، كذلك أن كتاب العالم يفسر بعض آياته بعضها، فكما أن العالم يحتاج احتياجاً حقيقياً إلى شمس يفيض منها عليه أنوار نعمته تعالى كذلك العالم المعنوي يحتاج أيضاً إلى شمس النبوة لفيضان أضواء رحمته تعالى"<sup>(١٠)</sup>.

#### الحاجة للنبوة عند النورسي

تتجلى الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء، من خلال حاجة الإنسان إلى النبوة، باعتبارها أمراً يقوده إلى تحقيق سعادة الدنيا والآخرة، وهو ما يؤكد النورسي ويتضح جلياً حينما يركز على إظهار أمرين:

١- ضعف الإنسان وعجزه.

٢- سمو غاياته وأهدافه.

فالنورسي على امتداد الرسائل كلها تناول الإنسان بالبحث، إلا ونبه إلى العجز والفقر ومحدودية القدرات التي ركبت فيه، على الرغم من أنه - أي الإنسان - يختلف عن الحيوان الذي زود بأجهزة للكسب في الحياة الدنيا فقط، وعلى الرغم من أنه أيضاً إذا قورن ببقية الموجودات عد خلاصتها وفهرسها - كما سبق وأن أشرنا - فهو على ضعفه "عالم صغير".

٩- سعيد النورسي، الكلمات، ص ٨٤٣.

١٠- سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٥.

فالإنسان - هذا الكائن الضعيف - يرى أن الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء وبعثتهم إليه، تتمركز في توجيهه - أي الإنسان - نحو تسعة أمور، أوجملها الإمام النورسي في رسائله بالشرح والتوضيح، وذلك لوصول الإنسان للغايات السامية لوجوده، حيث يقول النورسي:

"إن كنت تريد أن تكون الإنسان ونفسه - أن تفهمي شيئاً من: غاية حياتك، ماهية حياتك، صورة حياتك، سر حقيقة حياتك، كمال سعادة حياتك، فانظري إلى مجمل "غايات حياتك" فإنها تسعة أمور:

- ١- القيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروزة في جسمه.
- ٢- فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرته، ومعرفة الله - جل جلاله - بتلك الأسماء الحسنى.
- ٣- إعلان ما ركب فيه من الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعتها، وإظهار تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور، وبجوانب حياته كافة في معرض الدنيا هذه.
- ٤- إظهار عبوديته أمام عظمة ربوبية خالقه بلسان الحال والمقال.
- ٥- التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها له تجليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الشاهد الأزلي - جل وعلا - مثله في ذلك مثل الجندي الذي يتقلد الشارات المتنوعة التي منحها له السلطان في مناسبات رسمية ويعرضها أمام نظره ليظهر آثار تكرمه عليه وعنايته به.
- ٦- شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علم وبصيرة، إذ هي تحياتها ودلالاتها بحياتها على بارئها سبحانه ورؤية تسيبها لخالقها، رؤية بتفكير وعبرة، إذ هي رموز حياتها، وعرض عبادتها على واهب الحياة سبحانه والشهادة عليها، إذ هي غاية حياتها ونتيجتها.
- ٧- معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل، وشؤون الحكمة، ووزنها بما وهب لحياته من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية، أي يجعلها نماذج مصغرة ووحدة قياسية لمعرفة تلك الصفات المطلقة الجلية.
- ٨- فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم وإدراك كلماته المعنوية - كل حسب لسانه الخاص - فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعه.

٩- إدراك درجة القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والفقر المنطوي في نفسه، إذ كما يدرك أنواع الأطعمة ودرجاتها ولذاتها بدرجات الجوع وبمقدار الاحتياج إليه، كذلك عليه فهم درجات القدرة الإلهية وثروتها المطلقتين بعجزه وفقره غير المتناهيين".

فإذا جمعنا طرفي الصورة، نجد أن الإنسان الضعيف لا يمكنه تحقيق الغايات إلا بهداية يتجاوز بها عجزه ويتمكن من خلالها من الوصول إلى هدفه الأسمى، وهو كمال سعادة حياته، والذي يحدده النورسي مخاطبا الإنسان بقوله: "أما كمال سعادة حياتك، فهو: الشعور بما يتجلى من أنوار التجليات الإلهية في مرآة حياتك وحجها، وإظهار الشوق إليها، وأنت مالك للشعور، ثم الفناء في محبتها، وترسيخ تلك الأنوار المنعكسة وتمكينها من بؤبؤ عين قلبك" (١١) فبلوغ الإنسان هذا المقام العالي، يحتاج إلى من ينير له الطريق ويعرفه مسالكها، ودرجات الرقي فيها، ومن أجل هذا عد النورسي النبوة شمسا، فكانت بذلك ضرورة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، كما لا يمكنه أن يستغني عن النور أو عن مصدره.

ثم يبين النورسي ماهية الرسول ووظيفته الأساسية، فيقول: "إن الأبرار السعداء، فقد أنصتوا إلى المعلم العظيم والأستاذ الجليل ذي الحقيقتين، إذ هو عبد، وهو رسول، فمن حيث العبودية يعرف ربه ويوصفه بما يليق به من أوصاف الجلال، فهو إذًا في حكم ممثلٍ عن أمته لدى الحضرة الإلهية، ومن حيث الرسالة يبلغ أحكام ربه إلى الجن والإنس كافة بالقرآن العظيم" (١٢).

فمحور الرسالة الأساسية للأنبياء يرتكز في انطلاقه على أمرين:

**أولاً:** إنهم مرسلون من الله إلى الناس، يبينون لهم معنى الحياة وغايتها بالإرشاد والتعليم.  
**ثانياً:** إنهم ممثلو الناس عند الحضرة الربانية في نفس الوقت، حيث أن "النبوة في البشرية فذلّة الخير وخلاصة الكمال وأساسه، فالبداية يكون الحق والحقيقة في جانب النبوة، وفي يد الأنبياء عليهم السلام" (١٣).

بيان النورسي عن الرسالة الأساسية للأنبياء والرسول، يوضح أن بعثة الأنبياء إنذار من الله تعالى لئني آدم، لكي لا تكون لهم حجة على الله تعالى بعد الرسل، فيقيم عليهم الحجة بإرسال المرسلين والنبين، ولا يقولوا بعدها: ما جاءنا مبشرون ولا منذرون ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

١١- النورسي، الكلمات، ص ١١، ١٣٦-١٣٩، ٦٧٦-٦٧٧، وانظر: الشعاعات، ص ٦٣، ٢٧٥.

١٢- النورسي: الكلمات، ص ١٣٤.

١٣- النورسي: اللمعات، ص ١٩٤.

بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿١٤﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾.

إن ما سبق يعتبر تأصيلاً لازماً للبحث، وقاعدة الانطلاق للكشف عن الرسالة الأساسية والكونية المنوط بها الأنبياء من إرسلهم، وتوضيح لمفهوم الرسول وحقيقة الرسالة، ولعل أبرزها يمكن حصره فيما يلي:  
أولاً: معرفة الله

يرى النورسي "أن الإنسان يمثل أعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني، وقد اختاره سبحانه وتعالى من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الإنسان المكرم من هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الإنساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً" (١٦) والإنسان الأكمل والأفضل هو "النبي الذي يمثل كمال العبودية لله تعالى، إذ هو عبد اصطفاه الله تعالى وعرفه على ذاته العلية وكلفه بمهمة إراءة الكمال للخلق، فكان بذلك أعرف من كل المخلوقين بخالقه، وأصبح دليل الكون والكائنات ومعرفهم ومرشدهم لمعرفة الله" (١٧) لهذا فإن النورسي يعطي الأنبياء وهو يستعرض وظيفتهم، مهمة التنوير وهداية الناس إلى ما يحققون به سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية باعتبارها "شمس الكائنات والسراج المنير للخلق أجمعين" (١٨) لأنه يضئ الطريق للإنسانية من أجل الوصول بهم إلى معرفة الله.

ومن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي هي إظهار جمال الألوهية وتعريف الخلق بخالقهم، ويؤسس لهذه الوظيفة من خلال بيانه الغاية العظمى للإنسان، حيث يجعل من أسمى غايات الإنسان التعرف على الله تعالى وصفاته وشؤونه في الكون، وهي غاية لا يمكن للقدرات الإنسانية مجردة الوصول إليها، ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء والرسول بإظهار ما انطوى عليه الكون من دلائل على الألوهية، فيقول النورسي: "نعم يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس، مثل هذا الرسول الكريم،

١٤- سورة النساء، الآية: ١٦٥.

١٥- سورة الإسراء، الآية: ١٥.

١٦- سعيد النورسي، رسالة مرقاة السنة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٨.

١٧- نفس هذه المعاني توجد في رسائل النورسي فانظر في: الكلمات، ص ٣٠، ٤٦، ٥٥، ٢٧٩، وعصى موسى، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٢٩، وانظر: اللمعات، ص ١٩٤، وانظر إلى أغلب الأدعية الواردة في ختام الموضوعات وخاصة "الكلمات".

١٨- سعيد النورسي، مرقاة السنة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ص ٣٦.

كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء، لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام، فالجمال والجلال والكمال لا تظهر إلا بوجود نبي يجب الخلق فيها، فيكون بمثابة المعرف الحاذق، والمعلن الوصاف لها" (١٩) "والدال على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات" (٢٠) بل إن "تجليات عظمة الربوبية وهيمنة سلطنة الألوهية، إنما تُعرف برسالة هذا الداعية العظيم إلى سلطان الربوبية، وتبين بها، وتفهم عنها، وتؤخذ منها، وتصديقها" (٢١) ويتساءل النورسي: "هل يمكن لمن زين هذا الكون بمخلوقات معبّرة عن كمال أسائه الحسنى، وجعله قصرًا رائعًا، وجمّله ببدايع صنعته المذهلة، وعرضه على الأنظار، ثم لا يكل أمر إيضاحه إلى مرشد معلم رائد؟ أم هل يمكن أن لا يبين مالك هذا الكون بوساطة رسول: ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المغلق؟ وأن لا يجب بوساطته عن ألباز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات، وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ومن تكون؟ أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرف نفسه إلى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحببها إليهم بنعمه الغالية، أن لا يبين لهم بوساطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه إزاء هذه النعم السابغة؟ أم هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الإنساني باختلاف المشاعر والاتجاهات، وهياً استعداده للعبودية التامة الكلية، أن لا يطلب توجيه أنظار هذا النوع من الكثرة إلى التوحيد بوساطة مرشد مرسل؟ وهكذا فإن هناك دلائل أخرى زيادة على ما تقدم، كلها براهين قاطعة تبين: "وظائف النبوة ومهامها"، وتوضح: أن الألوهية لا تكون بلا رسالة، والآن، فهل ظهر في العالم من هو أكثر أهلية، وأجمع لتلك الأوصاف والوظائف التي ذكرت، من محمد الهاشمي صلى الله عليه وسلم؟ أم هل هناك أحد أليق منه صلى الله عليه وسلم لمنصب الرسالة ومهمة التبليغ؟ وهل أظهر الزمان أحدًا أعظم أهلية منه؟ كلا، ثم كلا. فهو إمام جميع المرسلين، وقرّة عين كل الأصفياء، وسلطان جميع المرشدين، وزبدة كل المختارين والمقربين، صاحب ألوف المعجزات كشق القمر، ونبعان الماء من بين أصابعه الشريفة، مما عدا دلائل نبوته وإماراتها التي لا تحصى، مما هو محل إجماع أهل الفضل والعلم، وعدا القرآن العظيم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى، إذ إنه كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته" (٢٢).

١٩- النورسي، الكلمات، ص ٦٢، وانظر: النورسي، رسالة الحشر، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، ٢٠٠٧م، ص ٣٦.

٢٠- النورسي، الكلمات، ص ٣٤٣، وانظر: نفس المصدر، ص ٦٩٠، ٦٩١.

٢١- المرجع السابق، ص ٥٣٧.

٢٢- المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣.

ومن خلال استعراض نصوص النورسي في قول "موضع خطابه" وأنه "واسطة الاتصال بين الله تعالى وخلقه" وأنهم "شمس للكائنات وسراج للخلق" و "المعرف الحاذق" و "الدال على ربوبية الله" يتبين أن الرسول عند النورسي هو معرف ومعلم مؤهل لإيصال المعرفة إلى المتعلم، أي أن الإنسانية في حاجة كبيرة إلى النبي ولا يمكنها الاستغناء عنه، وذلك من أجل الوصول إلى معرفة الله عن طريق يأمن فيه الإنسان على نفسه من الانزلاق في مهاوي الشيطان، ويؤكد النورسي على ذلك بقوله: "نعم: مادام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل وأكمل نقش وأجمل صنعة للحجى القيوم جل جلاله، ومادامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية، فكما أن تكلم الفرد يبين حيويته وحياته، كذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم، يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون، فلا بد أن الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على الحي الأزلي سبحانه وتعالى، وعلى وجوب وجوده، كما أن شعاعات الحياة الأزلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجه إلى ما لها ارتباطات وعلاقات معها من أركان الإيمان مثل: إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتبثها رمزاً، ولا سيما الرسالة المحمدية والوحي القرآني، إذ يصح القول: أنهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث إنها بمثابة روح الحياة وعقلها"<sup>(٢٣)</sup> ولئن كان الإمام محمد قد عد النبوة في الكون بمنزلة العقل في الإنسان، فأنا نلاحظ أن النورسي من خلال النص السابق يقفز بمنزلة النبوة، التي هي طريق معرف ودلال من أجل الوصول إلى معرفة الله، إلى أن جعلها بمثابة الروح والعقل في جسد الإنسان، وبث الحياة في الكون، وبغيب النبوة يكون الموت<sup>(٢٤)</sup>.

ولكن رغم قفزة النورسي ببيان الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء، إلا أنه يتلاقى مع الإمام محمد عبده وغيرهم من العلماء المسلمين على أهمية الحاجة إلى النبوة كطريق معرف وموصل إلى معرفة الله، وهذا ما أكده الإمام النورسي بقوله: "إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، الذي هو سر خلق الكون، هو المعرف الأول من المعرفين الكليين لمعرفة الله تعالى<sup>(٢٥)</sup> فقلد أجاب الرسول الكريم على ثلاثة أسئلة معضلة،

٢٣- المرجع السابق، ص ١١٨-١١٩.

٢٤- أشرف عبد الرافع الدرفيلي، الحرية والمعرفة عند الإمام بدیع الزمان سعيد النورسي، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٥١١.

٢٥- النورسي، الكلمات، ص ٢٥٤.

حيرت البشرية كافة على مدى التاريخ في الحصول على أجوبتها، وهي تشمل كل مخلوق: من أنت؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين المصير؟<sup>(٢٦)</sup> كما أن الرسول كشف كمال الكون، وأظهر القصد من خلق الموجودات، وواجه كل شيء وخاطبه موافقاً لغاية الخلقة، وهو الذي كشف الرحمة في الخلقة وقدمها لأنظارنا<sup>(٢٧)</sup>.

ثانياً: تحقيق العبودية الخالصة لله الواحد الأحد

إن معنى العبادة هو سجود العبد بمحبة خالصة وبتقدير وإعجاب في الحضرة الإلهية وأمام كمال الربوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الإلهية مشاهدًا في نفسه تقصيره وعجزه وفقره<sup>(٢٨)</sup> "فالعبادة خاصة لله وحده، وأن الشكر والحمد لا يليقان حقًا إلا به سبحانه"<sup>(٢٩)</sup> "وأن جميع هذه العبادات المشاهدة تشير إلى المعبود الحق الواجب الوجود وإلى وحدانيته"<sup>(٣٠)</sup> وذلك "لأن الصانع الحكيم قد خلق العالم الأكبر خلقًا بديعًا ونقش آيات كبريائه عليه، بحيث جعل الكون على صورة مسجد كبير، وأنشأ سبحانه هذا الإنسان في أحسن تقويم، واهبًا له العقل، بحيث جعله يسجد سجدة إعجاب أمام معجزات صنعته وبديع قدرته، واستقرأه آيات كبريائه، حتى صيرَه عبدًا ساجدًا في ذلك المسجد الكبير بما غرز في فطرته من العبودية والخضوع له، فهل من الممكن أن يكون المعبود الحقيقي للساجدين العابدين في هذا المسجد الكبير غير الصانع الواحد الأحد؟<sup>(٣١)</sup>.

إن الرسالة الأساسية للأنبياء جميعًا، هي إرشاد العباد لعبادة الخالق، وتعريفهم بكيفية وطريقة هذه العبادة، وتذكيرهم بأن أصل الحقيقة في وجودهم وخلقهم، هو أفراد العبادة للواحد الأحد ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣٢)</sup> وتحقيق العبودية يلازمها الإيمان بالأركان الستة<sup>(٣٣)</sup> "والرسول

٢٦- النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٥٧.

٢٧- المرجع السابق، ص ٥٩.

٢٨- النورسي، الكلمات، ص ٣٩-٤٤، وانظر: المثنوي العربي النوري، ص ٢٥٧.

٢٩- النورسي، اللغات، ص ٥٦٣ وبيّن في الإشارات: "أن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانه تعالى لعبده"، ص ٣١.

٣٠- النورسي، الكلمات، ص ٧٩١ وانظر: إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٦٤.

٣١- النورسي، المكتوبات، ص ٣٠١.

٣٢- سورة الذاريات، الآية: ٥٦، وانظر: النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة: وظيفة الإنسان الحقّة هي العبودية لله

واجتتاب الكبائر، "وأن استعداد الإنسان يدل على أن وظيفته الفطرية هي العبودية"، المثنوي، ص ٢٩٣، ٣٠٤.

٣٣- النورسي، الكلمات، ص ١١١-١١٩.

الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي أظهر أعلى مراتب العبودية وأسأها بالعبودية العظيمة في دينه تلبية لإرادة الله في ظهور ألوهيته بمقتضى الحكمة" (٣٤).

ثم لبيان أن العبادة سبب لسعادة الدارين للإنسان، وسبب لتنظيم المعاش والمعاد، وسبب للكمال الشخصي والنوعي، وهي النسبة الشريفة العالية بين العبد وخالقه (٣٥) " وأن العبادة التي هي جبل الوصال، أو نقطة اتصال بين المبدأ والمنتهى، تصرف وجه الإنسان من الفناء إلى البقاء، ومن الخلق إلى الحق، ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن المنتهى إلى المبدأ، ولكي يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمال والفضائل فيغدو إنساناً باقياً" (٣٦).

ويعرج الإمام النورسي لبيان أهمية الاقتداء بالرسالة النبوية، فيقول: "تعال لتتجرد من قيود الزمان، ولنذهب بأفكارنا إلى عصر النبوة، وبخيالنا إلى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته صلى الله عليه وسلم، وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته. انظر! كيف إنه سبب السعادة بما أتى به من رسالة وهداية، فإنه صلى الله عليه وسلم هو الداعي لإيجاد تلك السعادة وخلق الجنة بدعائه وعبوديته، انظر إلى هذا النبي الكريم إلام يدعو، إنه يدعو إلى السعادة الأبدية في صلاة كبرى شاملة، وفي عبادة رفيعة مستغرقة، حتى أن الجزيرة العربية، بل الأرض برمتها، كأنها تصلي مع صلاته، وتبتهل إلى الله بابتهاله الجميل، ذلك لأن عبوديته صلى الله عليه وسلم تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه، كما تتضمن - بسر الموافقة في الأصول - سر العبودية لجميع الأنبياء عليهم السلام. فهو يؤم صلاة كبرى - أيها صلاة - ويتضرع بدعاء - ويا له من تضرع رقيق - في خلق عظيم، كأن الذين تنوروا بنور الإيمان - من لدن آدم عليه السلام إلى الآن، وإلى يوم القيامة - اقتدوا به، وأمنوا على دعائه" (٣٧).

ثالثاً: تعمير الكون "القرآن المنظور" (٣٨)

تتجلى الوظيفة الرسالية للأنبياء في دعوتهم للتقدم والنهوض البشري وتعمير الكون، وربط البعد

---

٣٤- النورسي، الكلمات، ص ٦٩٠، وانظر: المكنوبات، ص ٢٧٧، الشعاعات، ص ٢٩٨، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٣٨٨، اللمعات، ص ١٩٩.

٣٥- النورسي، إشارات الإعجاز، ص ١٤٧.

٣٦- النورسي، الكلمات، ص ٤١٨ بتصرف، وانظر: المثنوي العربي النوري، ص ٤٧٩.

٣٧- النورسي، الكلمات، ص ٧٣-٧٥ بتصرف.

٣٨- المرجع السابق، ص ٦٣٥-٦٣٦، وانظر: المقام الثاني من الكلمة العشرين، ص ٢٧٧-٢٩٦، صيقل: ٤٩٩.

الكوني بالأسماء الحسنى المتجلية والمبثوثة في الكون، وهذا الربط لا يتحقق إلا بالفرد المؤمن.

فالحضارة بنى على سواعد الصفوة المختارة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٩) تلك الصفوة التي يستعملها الله لإنقاذ البشرية من يرثن التخلف، وتنشلها من الجهل والكسل، وبعثها من رقدتها من جديد، ولا تزال الجماعة من الناس بخير، ما دامت الصفوة القائمة تشعر بثقل التكليف، وتحمل أعباءها، وهذا أمر متفق عليه عند علماء الحضارة من "تستا فيكو" إلى "توينبي" ويرى توينبي: أنه لا بد لكل جماعة إنسانية من صفوة قائمة لكي تتقدم وتحسن أحوالها، ولا يتم تقدم إذا عدمتها الجماعة، فكأنها خيرة التقدم والنهوض (٤٠).

والقرآن الكريم يبين لنا أن الأنبياء هم الرواد الأوائل، والقادة الحسنة، والصفوة المختارة لإقامة الحضارة الإنسانية السامية، بما امتازت به شخصياتهم من صفات قيادية، وتمثل فيهم الكمال الإنساني، فقاموا عليهم السلام بألوان من الأنشطة الاقتصادية والصناعية بالإضافة إلى مهمتهم الرئيسة: الدعوة إلى عبادة الله، وتربية الأمم ورعايتها، وهذه المهام مجتمعة، هي التي يبنى بها الإنسان مختلف جوانب الحضارة، فهذا سيدنا نوح عليه السلام رائد في صناعة السفن، استخدم الخشب والحديد في صناعتها، وبهذا نجاه الله ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنًا وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٤١﴾ وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من كبار الرواد في البناء والتشييد، فعهد الله إليهما رفع قواعد البيت، التي ستكون قبلة للمؤمنين، ومحط رحال أفئدة العابدين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٢﴾ وقد وهب الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام قدرة في تليين الحديد، وتحويل المعادن، وصناعة أدوات الحرب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيهِ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٤٣﴾ وتفوق يوسف عليه السلام في أمور تدبير شؤون الملك والاقتصاد، وكان أميناً على خزائن

٣٩- سورة القصص، الآية: ٦٨.

٤٠- حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، نسخة مصورة، ص ١١١-١١٤.

٤١- سورة هود، الآيتان: ٣٧-٣٨.

٤٢- سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

٤٣- سورة سبأ، الآية: ١٠.

الأرض، خزائن أكبر حضارة في الدنيا آنذاك، فأنقذ بتدبيره أمة أوشكت أن تهلك بالأزمات الاقتصادية، والمجاعات المتتالية، قال تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٤٤). والرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الكمال الإنساني في علمه وخلقه، وشهد له بذلك ربه في محكم تنزيله، وهي شهادة لم يحصل عليها مخلوق، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤٥)(٤٦).

فالحضارة في فكر النورسي تبدأ بالرسالة والنبوة "لأنها توضح منهج الله في الكون، وتبين رسالة الإنسان والغاية منها وضوابطها ومعاييرها، وترسم معالم الاستخلاف عن الله في تعمير الكون، فالنبوة أول مراحل الحضارة الإنسانية وبدايتها" (٤٧) ومن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي، بجانب وظيفة توحيد الألوهية وإظهارها، أنه يمثل القيادة الحضارية، ومعلم ومعرف لكيفية البناء الحضاري ونشئها، ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم هو النموذج المطلق، الذي تهتدي به الإنسانية في علاج مشكلاتها، وتقويم سلوكها، وترشيد حركتها ونشاطها على الأرض، فهو القدوة الحسنة في صناعة التغيير والنهوض في كل جوانب الحياة، والمثال المقتدى في بناء الحضارات والأمم، وأن الشاهد على ذلك: هو ذلك "التحول العظيم الذي أحدثه في مجرى الحياة في ذلك الوقت، سواء في المجتمع أو الفرد، حيث أبرز جمال الخير والحق، وأظهر نصاعتها الباهرة، وكشف عن خبث الشر والباطل، وبيّن سماجتها وقبحها، وانفجرت على يديه المسافة ما بين الإيمان والكفر، بل ما بين الجنة والنار، وحين نستعرض سوق الحضارة البشرية، نرى أن عصر النبوة السعيد، هو خير القرون على الإطلاق، وللتدليل على ذلك ما يأتي: بينما أعرابي غليظ القلب يتدبنته بيده، إذا به يكسب خلال حضوره مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ومن صحبته ساعة من الزمان رقة قلب، وسعة صدر، وشفافية روح، ما يجعله يتحاشى قتل نملة صغيرة، أو آخر يجهل شرائع الحضارة

٤٤- سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٤٥- سورة القلم، الآية: ٤.

٤٦- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، حضارات ورد ذكرها في القرآن والسنة النبوية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٢ وما بعدها، وانظر: توفيق يوسف الراعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء بالمنصورة، مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣٣٣-٣٤٠ بتصرف.

٤٧- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ودار القارئ العربي بالقاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٢٣، ولتوضيح ربط النبوة بالحضارة سبباً وزمناً راجع: ضياء الدين القبانجي، المذهب السياسي في الإسلام، دار الكتاب، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٦٨.

وعلموها، يحضر مجلس الرسول الكريم، فيصبح معلماً لأرقى الأمم المتحضرة، كالهند والصين، ويحكم بينهم بالقسطاس المستقيم، ويغدوا لهم مثلاً أعلى، وقدوة طيبة" (٤٨).

#### رابعاً: العدل

جاء جميع الأنبياء والرسل لغرس فضيلة العدل وإقامته، لأن العدل جامع لجميع الفضائل، ولقد تكررت نداءات القرآن الكريم والسنة النبوية بضرورة إقامة العدل بجميع صورته وألوانه، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٤٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٠)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥١) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِيكَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٥٢) ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٥٣) ﴿وَمَنْ حَلَفْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٥٤) وفي الحديث القدسي: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" (٥٥) وقال صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل... (٥٦).

٤٨- النورسي، الكلمات، ص ٢٧٥-٢٩٣، ٥٦٣-٥٦٤، وللاطلاع على نفس هذه المعاني بالتفصيل والتوضيح، وكيف أن النبي استطاع بقيادته تحويل الأميين الحفاة، والذين كانوا يتقاتلون من أجل بقعة عشب وجرعة ماء، إلى صناع أعظم حضارة قامت على أسس الإيمان بالله، انظر: توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، سلسلة البحوث الإسلامية، ١٩٧٢م، ج ١، ص ٥٤-٥٦، ج ٢، ص ٢١-٥٠.

٤٩- سورة النساء، الآية: ٥٨.

٥٠- سورة النحل، الآية: ٩٠.

٥١- سورة النحل، الآية: ٧٦.

٥٢- سورة المائدة، الآية: ٨.

٥٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

٥٤- سورة الأعراف، الآية: ١٨١.

٥٥- أخرجه مسلم، ٢٥٧٧، والترمذي، ٢٤٩٥، والإمام أحمد في سننه، ج ٥، رقم: ١٥٤، ١٦٠.

٥٦- أخرجه البخاري في صحيحه، ج ١، رقم: ٢٣٤، ومسلم، ج ٢، رقم: ٧١٥.

## العلاقة بين العدالة والعبودية

تكسبي العلاقة بين "العدالة والعبودية" أهمية قصوى في فكر النورسي، فقد جعل العلاقة بينهما من المقاصد الأربعة الأساسية، والعناصر الأصلية في القرآن الكريم، من ذلك مثلاً قوله: "اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبودية"<sup>(٥٧)</sup> وأحياناً يورد العدالة دون ذكر العبودية، كما في قوله: "تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة: وهي التوحيد والنبوة والحشر والعدالة"<sup>(٥٨)</sup> والمتأمل في جميع أجزاء رسائل النور، يجد أن النورسي يعرج كثيراً على الربط بين العدالة والعبودية ربطاً وثيقاً، حتى أنه لا يذكر أحد الطرفين إلا بتلازم الآخر تصريحاً أو تلميحاً، حيث أن العبودية ضامنة لضبط النفس الإنسانية وتزكيتهما والسمو بها لتحقيق العدالة وبعدها عن الجور والأنانية والاستبداد" والعدالة الإلهية تقابل العبادة بالإحسان، والطاعة بالإعانة، وتمنح الجوارح العابدة نعمة التلذذ والسعادة"<sup>(٥٩)</sup>.

## العدالة الإلهية في الكون والكائنات

يرى الإمام النورسي أن جميع أنوار العدالة المبثوثة في الكون والكائنات، هي قبس من شعاع أنوار عدالة الله المنبثقة من تجليات اسمه "العدل"<sup>(٦٠)</sup> الذي استقام به الكون، وصلاح له أمر السموات والأرض، واعتدلت به الكائنات، واتزنت به الموجودات، واتسقت بها المخلوقات، يقول النورسي: "إن العدالة العامة الجارية في الكون، النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل"<sup>(٦١)</sup> من خلال تبليغ رسله "حيث أن العدل الإلهي ضم جميع موجوداته تحت جناح ميزانه، ويديم موازنة الأجرام العلوية والسفلية ويعطيها التناسب والتلاؤم الذي هو أساس للجمال، ويجعل كل شيء في أفضل وضع وأجمله، ويعطي كل ذي حياة حق الحياة، فيحقق الحق، ويجد من تجاوز المعتدين ويعاقبهم، فشاهد الجمال الباهر، جمال هذه العادلة الإلهية"<sup>(٦٢)</sup> "ومن تجليات عدل الله: حماية أوليائه

٥٧- انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٣١٠، المثنوي، ص ٧٥، إشارات الإعجاز، ص ٤٠، ٢٤.

٥٨- النورسي، المثنوي العربي، ص ٢٣٠.

٥٩- النورسي، الشعاعات، ص ٢٦، ١٥٢، ١٦٨، ٢٢١، ٢٦٤، المثنوي، ص ١٧٩، إشارات الإعجاز، ص ٣١.

٦٠- المرجع السابق، ص ٤٣٠.

٦١- النورسي، اللمعات، ص ٥٢٦.

٦٢- المرجع السابق، الشعاعات، ص ٩٠.

ورسله، وتمكينهم من تبليغ دينه وإقامته وحفظه" (٦٣).

### الارتباط الوثيق بين العدالة والإيمان

إن المتصفح لرسائل النور، يلحظ الارتباط الوثيق بين العدالة والإيمان، وذلك من أجل إقامة مجتمع بشري متماسك على أسس الحق والعدل، وعلاقات دولية يسودها السلم والتعاون، لهذا نجد النورسي يشترط جعل الإيمان قاعدة لا بديل عنها لبلوغ الإنسانية هدفها في العدل، فلا عدل بدون إيمان، لذلك فإننا لا نستغرب أن يعتبر الكفر الذي هو نقيض الإيمان أم الجرائم "وجناية عظيمة وظلم شنيع" (٦٤) "فالعدل لا يستقيم مع جريمة لا تغتفر كالإلحاد وعدم الإيمان، لأنهما يشكلان مصدرًا للاستبداد والطغيان والخروج عن سكة العدالة" (٦٥).

### خامسًا: إثبات الحشر والإخبار بالوعد والوعيد

يستهل الإمام النورسي حديثه عن الحشر بقول الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿٦٦﴾ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمَعْمَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾.

ثم يبين أهمية مبحث الحشر وإثباته في رسائل النور تفصيلاً وإجمالاً، فيقول:

أولاً: إن حقيقة الحشر والآخرة والحياة الباقية التي تعبر عنها هذه الكلمة المقدسة نحيل إثباتها والتصديق بها إلى الكلمة العاشرة وذيوها وإلى الكلمة التاسعة والعشرين التي تثبت تحققها القاطع كتحقق الربيع المقبل، وإلى المسألة السابعة من رسالة الثمرة، وإلى شعاع المناجاة، وإلى الأجزاء الإيمانية لرسائل النور، حقاً إن تلك الرسائل قد أثبتت هذا الركن الإيماني بحجج لا تنتهي لها، بأن تحقق الآخرة ثابت بدرجة تحقق وجود الدنيا بحيث تلجئ حتى أعتى المنكرين إلى التصديق به.

٦٣- المرجع السابق، ص ٦٦٧.

٦٤- المرجع السابق، ص ٢٨٩.

٦٥- النورسي، الملاحق، ص ١٦٥ وانظر: إبراهيم القادري بوتشيش، نظرية العدالة في رسائل النور كأساس لبناء علاقات دولية متوازنة، وسلام عالمي دائم، (أعمال مؤتمر العدالة الثامن)، نسل، إستانبول، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٣-٢٨٤.

٦٦- سورة الروم، الآيات: ١٧-١٩.

٦٧- سورة الروم، الآية: ٥٠.

ثانيًا: إن ثلث القرآن المبين يبحث في الآخرة والحشر، ويبني كل الدعاوى على تلك الحقيقة، لهذا فكما أن جميع معجزات القرآن وحججه التي تثبت أحقيته تدل على وجود الآخرة، كذلك جميع معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الشاهدة على صدق نبوته وجميع دلائل نبوته وجميع حجج صدقه تشهد على الآخرة والحشر، لأن أعظم ما دعا إليه ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم طوال حياته كلها هو الآخرة، كما أن مائة وأربعة وعشرين ألف من الأنبياء الكرام عليهم السلام قد دعوا جميعهم إلى الحياة الباقية والسعادة الأبدية وبشروا البشرية بها وأثبتوا صدق دعواهم بما لا يجد من المعجزات والدلائل القاطعة، فلا شك أن جميع معجزاتهم وحججهم الدالة على نبوتهم وعلى صدقهم في دعواهم تشهد أيضًا على الآخرة والحياة الباقية التي هي أعظم وأدوم دعواهم، فقياسًا على هذا، فإن جميع الأدلة التي تثبت سائر الأركان الإيمانية تشهد بدورها على حدوث الآخرة وعلى انفتاح أبواب دار السعادة الخالدة" (٦٨).

ثم يبين الإمام النورسي أن الرسالة الأساسية والكونية للرسول والأنبياء والكتب المنزلة، هي للتأكيد على حقيقة الحشر والإبلاغ عنه، وإفهام الناس بحقيقته من خلال الأدلة والبراهين، فيقول: "إن الصحف السماوية والكتب المقدسة جميعها قد صدقت بآلاف من الدلائل على دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر، مع أن بيانها لها - أي الصحف والكتب السماوية - مختصر وموجز، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها، تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها، وهيمن على المستقبل كله، بيّنها بجلاء وأفاض في إيضاحها، فيا ربي الرحيم، لقد أدركت بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمت من تدريس القرآن الحكيم، أن الكتب المقدسة جميعها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، والأنبياء عليهم السلام جميعهم، وفي مقدمتهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، يدلّون ويشهدون ويشيرون بالإجماع والاتفاق إلى أن تجليات الأسماء الحسنى - ذات الجلال والجمال - الظاهرة آثارها في هذه الدنيا، وفي العوالم كافة، ستدوم دوائماً أسطع وأبهر في أبد الآباد، وأن تجلياتها - ذات الرحمة - وآلها المشاهدة نأذجها في هذا العالم الفاني، ستثمر بأبهى نور وأعظم تألق، وستبقى دوائماً في دار السعادة، وأن أولئك المشتاقين الذين يتملّونها - في هذه الحياة الدنيا القصيرة - بلهفة وشوق سيرافقونها بالمحبة والودّ، ويصحبونها إلى الأبد، ويظلون معها خالدين، وأن جميع الأنبياء وهم ذوو الأرواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة

النيرة، كل أولئك يؤمنون إيماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه ويشرون البشرية بالسعادة الأبدية، وينذرون أهل الضلالة بأن مصيرهم النار، ويشرون أهل الهداية بأن عاقبتهم الجنة، مستندين إلى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة، وإلى ما ذكرته أنت يا ربي مراراً وتكراراً في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد، ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك، وشؤونك الجليلة، وصفاتك المقدسة كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال وبناءً على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة، التي تنبئ عن آثار الآخرة ورشحاتها، وبناءً على إيمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين.

وهكذا فإن الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم، بل جميع الكتب السماوية، وإن المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الأنبياء جميعهم، تثبت بدورها أهم ما يدعون إليه، وهو تحقق الآخرة، وتدلل عليها، كما أن أغلب الأدلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء، التي هي مدار الربوبية والألوهية، وأعظم مظهر لهما، بل تستلزم وجود عالم البقاء بدرجة الوجوب وتطلب الحشر والنشور والثواب والعقاب بدرجة الضرورة أيضاً، نعم لا ريب مطلقاً أن القيامة ستقوم، وأن الحشر والنشور سيحدث، وأن أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح، والخلاصة: ما دام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً، وما دامت في الدنيا حياة، فلا بد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر، ولا يسيئون استعمال حياتهم، يكونون أهلاً لحياة باقية، في دار باقية وفي جنة باقية، آمناً" (٦٩).

#### الخاتمة بأهم نتائج البحث

لقد جعلت جل زادي في كتابة هذا البحث هي رسائل النور، لأنها كنز معرفي مقتبس من نور القرآن الكريم ولعل أبرز ما يميز رسائل النور أنها تعالج أي قضية خاض فيها السابقون ولم ينتهوا إلى رأي قاطع فيها، أو أي قضية مستحدثة لم يخض أحد في طرح علاج لها، ويكفي الرسائل تميزاً أن من خط سطورها انتهج منهج القرآن في إبراز مقاصد القرآن الكريم الأساسية والفرعية. الخاصة والعامة، ولعل أطروحتنا تؤكد صدق هذا، حيث أنه غاص بفكر مستنير بهدي القرآن إلى إبراز وتوضيح الرسالة الأساسية والكونية للأنبياء والمرسلين، ووضح بحيادية تامة، أن الرسل جميعاً جاءوا هداة للبشرية لكي يبينوا لهم

منهج الله، حتى يصلوا بطمأنينة لسعادة الدنيا والآخرة، ولعل أبرز ما شد انتباهي هو ما يلي:

- ١- تأكيد الإمام النورسي على وحدة معسكر النبوة، وأهم سلسلة متصلة ومتكاملة في الهدف والدور والأداء والتبليغ بوحداية الله وعبادته وتنفيذ أوامره وإطاعته " وأن رسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم دليل على رسالات الأنبياء، وأن مدار نبوة الأنبياء وكيفية معاملاتهم مع أممهم والدلائل والمزايا والأوضاع التي دلت على عامة الرسل أمثال سيدنا موسى وعيسى عليهم السلام توجد بأتم صورها، وأفضل معانيها، لدى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وأن علة حكم النبوة وسببها، أكمل وجوداً في ذاته صلى الله عليه وسلم" (٧٠) بل ويقفز النورسي إلى بيان أن الرسالة الأساسية والكونية ظهرت جلية واضحة ومتكاملة على يد المعلم الأستاذ وسيد الكونين محمد صلى الله عليه وسلم، ومساعدوه هم الأنبياء الكرام الذين مهدوا لرسالته، وتلاميذه هم الأولياء الصالحون والعلماء الأصفياء" (٧١) الذين يجددون أمر الدين للناس، ويبينون ويوضحون ما استشكل على الناس من رسالات الأنبياء وتعاليمهم.
- ٢- أن ما ناقشه النورسي في رسائله حول الوظيفة الأساسية للرسول والأنبياء، هو بيان شاف لمقاصد القرآن الكريم، بعيداً عن المصطلحات السفسطائية، أو الطرق الكلامية الجدلية العقيمة، والتي لم تفرز إلا تمزيق وحدة الأمة واقتتالها، مما يجعل للنورسي السبق في تجديد الخطاب الديني، وإرسائه لمنهج عقلائي قرآني يتوافق مع متطلبات العصر ومقتضى الحال في طرح ومعالجة القضايا العقدية بين المسلمين أنفسهم والمذاهب الفكرية، ومع غير المسلمين.
- ٣- إن عرض رسائل النور للرسالة الأساسية والكونية للأنبياء ببعديها المادي والمعنوي... الدنيوي والأخروي، أرجو أن يتم طرحها كمنهج دراسي، ولا يقتصر الحال بها كأطروحات بحثية تتم المشاركة بها من خلال المؤتمرات، ومرجع هذا الرجاء يعود في قناعاتي التامة بأن طرح هذا الموضوع بمنهج رسائل النور سيكون له أكبر الأثر في إرساء قواسم مشتركة بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية الأخرى.
- ٤- لقد أبدع الإمام النورسي في تصويره لمشاهد الحشر، وإثباته للحشر الجسماني، وتأكيد على أن جميع الرسائل والكتب والصحف السماوية تؤكد على حقيقة الحشر، وتؤيد بالعديد من الأدلة على

٧٠- النورسي، المكتوبات، ص ١١٥.

٧١- النورسي، الكلمات، ص ١٣٣.

ما ورد في القرآن، ثم تصويراته الأدبية الرفيعة للتعريف بالحياة الأزلية، وبيانه أن بعثة الأنبياء هي النافذة التي تفتح بين عالم الغيب المحجوب وعالم الشهادة والحس، وإخبارهم عن الوعد والوعيد: فما دام الإنسان خلق لغاية، فقد بعث الله تعالى الأنبياء بإخبارات فيها وعد لمن تحقق بما طلب منه خالقه، وفيها وعيد لمن خالف وانحرف عن ذلك، وبهذا يتحقق العدل الإلهي، ولا يظلم ربك أحداً.

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل، وعلى الله قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*\*